



صحيح أن السياسة والاستراتيجيات عمليات معقدة ومتشعبة، إلا أن نظرة سريعة إلى التحالف الدولي الذي يستهدف تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا جوًّا تؤكد ببساطة أنه يصب، بطريقة أو بأخرى، في مصلحة النظام السوري وحلفائه تحديداً. دعم من سخافات انتهاك السيادة السورية. فلا أخلاق في السياسة.

صحيح أن طائرات التحالف تنتهك الأجواء السورية بمفهوم القانون الدولي، لكنها تقصف ألد أعداء النظام الذين أسقطوا العديد من مطاراته وموارقه، ومرغوا أنوف جيشه بالتراب. ألا تتذكرون ما فعله تنظيم الدولة بجنود الأسد في الرقة والطبيقة؟ ألم تروا طوابير الجنود العراة الذين استعرضهم التنظيم كنوع من الإهانة للأسد في الرقة، ثم أعدمهم جميعاً بطريقة وحشية؟ ألا تتذكرون مناظر قطع الرؤوس الرهيب لقوات الأسد في أكثر منطقة؟

هل كانت تلك المشاهد المريعة مجرد لعب عيال، أم أنها كانت ضربة نجلاء لكرياء الجيش السوري ونظامه؟ ألم يثر جماعة النظام على القيادة وحملوها مسؤولية سقوط المطارات وإهانة الجنود والضباط على أيدي تنظيم الدولة الإسلامية؟ فماذا ستكون ردة فعل النظام وجماعته إنْدَن عندما يرون طائرات التحالف تدك مواقع وأرتال القوات التي أهانت الجيش السوري، وقطعت رؤوس العديد من جنوده؟

لا شك أنهم سيشعرون بالتشفي والفرحة، وسيقولون: عدو عدو صديقي.

لقد نزلت ضربات التحالف الدولي على موقع تنظيم الدولة في سوريا بردًا وسلامًا على نظام الأسد وحلفائه الإيرانيين وحزب الله وروسيا.

وبالرغم من التصريحات الروسية الخجولة حول عدم شرعية التحالف، فلا شك أن الروس والإيرانيين سعداء في قراره أنفسهم وهم يرون الطائرات الأمريكية والערבية تدك مواقع تنظيم الدولة في سوريا والعراق. ولا شك أنهم يرددون المثل الإيراني الشهير: «لا تقتل الأفعى بيديك، بل اقتلها بيدي عدوك». وهذا ما يحصل فعلاً في سوريا والعراق. دعكم من التحليلات الرغبوية. المهم ما يحصل على الأرض.

ألم يستغل النظام السوري عمليات التحالف الدولي ضد تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا لتكثيف عملياته العسكرية الرهيبة ضد المناطق الثائرة؟

ألم يلجم في حي جوبر إلى استخدام أسلحة روسية لم يسبق لها مثيل في التدمير، بينما أعين العالم كلها منصبة على عمليات التحالف ضد تنظيم الدولة في شمال وشرق سوريا والعراق؟

ألم تزد همجية الجيش السوري مرات ومرات؟

ألم يلجم إلى سياسة الأرض المحروقة تماماً، حتى لو أزال مناطق بأكملها عن الخارطة؟

بعارة أخرى، فإن القصف الدولي لتنظيم الدولة جاء بمثابة غطاء للنظام السوري كي يفعل ما يشاء في المناطق الخارجية عن سيطرته.

ولا شك أنه ينجح. لاحظوا أن النظام استعاد الكثير من المناطق أثناء القصف الدولي لتنظيم الدولة. وهو يبني بلاء حسناً في ريف دمشق وحتى حلب، بينما الكل مشغول بعمليات التحالف ضد تنظيم الدولة. ليس صحيحاً أن تنظيم الدولة يواجه فقط حرباً جوية غير مجده، وأن لا أحد مستعد أن يواجهه على الأرض.

ألا تقوم قوات النظام السوري وحزب الله وإيران بمواجهة تنظيم الدولة برأ، بينما تتصفه طائرات التحالف جواً. والنتيجة أن الجيش السوري يسيطر على كل المناطق التي يتركها تنظيم الدولة.

بعارة أخرى، فإن الطائرات الأمريكية والعربية تقوم بإضعاف التنظيم جواً تاركة المجال للقوات السورية كي تنهكه برأ، ومن ثم تسيطر على المناطق التي تركها، خاصة وأنه ليس هناك أي قوات للجيش الحر تستطيع أن تمלא الفراغ الذي تركه انسحاب تنظيم الدولة من هذه المنطقة أو تلك.

فقوات الجيش الحر التي تزعم أمريكا أنها ستدر بها لن تكون جاهزة قبل أشهر. وفي هذه الأثناء يكون الذي ضرب، ضرب، والذي هرب، هرب كما يقول المثل الشعبي. بعبارة أخرى، يكون الجيش السوري قد استعاد المناطق التي فقدها بدعم جوي أمريكي وعربي.

باختصار، فإن الحملة الدولية على تنظيم الدولة تتم عملياً بالتعاون بين أمريكا جواً ونظام الأسد وإيران برأ، بينما يدفع العرب كلفة الحملة العسكرية لصالح تعزيز نظام الأسد. تلك هي نتيجة التحليلات الغربية الواقعية.

ويؤكد روبرت فيسك في صحيفة «الاندبندنت» أنه «في اللحظة التي تحركت فيها الولايات المتحدة، ووسعـت حملتها ضد تنظيم الدولة لتشمل سوريا، حصل بشار الأسد على دعم عسكري وسياسي أكثر من أي قائد آخر، فبانفجر القنابل في مناطق شمال وشرق سوريا يمكن للأسد الاعتماد الآن على دعم روسيا والصين وإيران وأمريكا، وحزب الله والأردن ودول

ويشير الكاتب إلى أن الأسد يمكنه الآن الجلوس في بيته في دمشق ليفكر كيف تقوم أقوى دولة في العالم، التي حاولت ضربه العام الماضي باستهداف أعدائه. و يضيف فريديريك بيشون الكاتب والمحلل السياسي «لوكاله فرانس برس» في تقرير نشره موقع «شؤون خلنجية» أنه بالنسبة إلى بشار الأسد، فإن وضعه ممتاز من الناحية السياسية والجيوسياسية، لأن واشنطن ولندن ستجدان نفسيهما في الخط نفسه إلى جانب دمشق.

ويعتبر الباحث في معهد بروكينغز «شارلز لستر» أن النظام السوري سيخرج أكثر قوة. وينتهي موقع «شؤون خلنجية» إلى نتيجة مفادها أن دول الخليج تحمل فاتورة التحالف الدولي ليس من أجل القضاء على تنظيم الدولة الإسلامية، ولكن من أجل القضاء على المعارضة السورية وإعطاء قبلة الحياة لنظام بشار الأسد، الذي نجح حتى الآن في السيطرة على الأماكن التي انسحب منها تنظيم الدولة. البعض يأمل أن تطال ضربات التحالف لاحقاً موقع النظام السوري، مما سيقلب الطاولة رأساً على عقب. لكن ذلك يبقى في إطار التكهنات والمتنيات الرغبوية حتى الآن على الأقل.

من صفحة الكاتب على فيسبوك

المصادر: